

الإسلام حفظ حقوق الإنسان وضمن حق المساءلة لكل مسؤول



إن شريعة الإسلام مبنية بناءً متيناً حكيماً لأنها من العزيز الحكيم الحميد فما من مصلحة في الدنيا والآخرة إلا وأرشدت إليه ودلت عليه، ولذا اعتنت الشريعة بحفظ الضرورات الخمس: حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، فحياة البشر لا تستقيم وأمورهم لا تتنظم إلا بحفظ هذه الضرورات، ليست هي من حقوق الإنسان التي كلها له الإسلام، فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله وكل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه، كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وهذا موقف بين قيمة الإنسان في الإسلام وأنه ليس بهيمة إنه إنسان سميع بصير جعل الله له حفاً ورأياً وكلمة: أنت لئاب من اليمين فوزعها أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه على الناس لكل مسلم ثوب وبقي ثوب لأمر المؤمنين فليسه فوصل الثوب إلى ركبته فقال لابنه عبد الله: أعطني ثوبك الذي هو حصتك فأعماه إياه فوصل عمر ثوبه بثوب ابنه عبد الله وليسهما وصعد بخطب في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس اسمعوا لما سوف أحدثكم عنه فيصرخ سلمان الفارسي: والله لا تسمع ولا تعي – رجل يقطع الخليفة أمير المؤمنين رجل فارسي ليس بفارسي ولا هاشمي ولا عربي ولا هو من قرابة الخليفة

فيقول عمر: ولم؟

فيرد سلمان: لأنه تليس ثوبين وتلبسنا ثوباً واحداً، أين العدالة؟

فقال عمر: يا عبد الله: قم فأجب

فقام عبد الله والناس سكوت فقال: إن أبي رجل طويل لا يكفيه ثوب فأعطينه ثوبين، فوصله بثوبين وليسهما.

فهنا قال سلمان: يا أمير المؤمنين الآن قل تسمع وعمر تلع.

نعم، إنها حقوق الإنسان إن من حقه أن تعيش محترماً في كلمتك وفي رايك وفي بيتك وفي مالك، لا تعيش خوفاً ولا بملشاً ولا إرهاباً ولا تخويفاً وهذا ما كتبه الإسلام لجميع المسلمين على حد سواء لا فرق بين أبيض وأسود ولا غني وفقير ولا كبير وصغير، الكل سواء في ميزان الإسلام.

فالله تعالى لا يضيع حق كل ذي حق وقد بعث رسله فينبوا الحقوق والواجبات وهماو نبينا صلى الله عليه وسلم بلف في حجة الوداع ليدرك الناس يحقوفهم وواجباتهم فيقول: أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم،، وهي وصية سيكرها صلى الله عليه وسلم في آخر خطبته تأكيداً لها وإبرازاً لخطورة الاعتداء على الأموال والدماء فيوم عرفة هو يوم الإعلان عن حقوق الإنسان فيه أعلن أبو القاسم صلى الله عليه وسلم حق الإنسان في الحياة وفي الملكية، ولفضل حقوق النساء وأنها إنسانات لها شأنها في المجتمع فهي تمثل نصف الأمة وتعد النصف الآخر إذا هي أمة كاملة كل لها الإسلام حقوقها فلها حق العشرة الحسنة وحق التعليم وحق اختيار الزوج وغيرها من الحقوق.

إن الإسلام كل للإنسان كل حقوقه فانتظر لحرمة الكعبة فإن لها حرمة عظيمة ولكن حرمة المؤمن عند الله أشد حرمة من الكعبة.

لم ينفصل التوكل عن معاني قوة الإرادة وبذل الجهد إلا في عصور ضعف الإسلام

المسلم الحق ينأى عن مواطن الهُون ويضرب في فجاج الأرض ابتغاء العزة والكرامة

التوكل الحق قرين الجهد المضني والإرادة المصممة ولم ينفرد التوكل عن هذه المعاني إلا في العصور التي تسخّح فيها الإسلام، وأصبح بين اتباعه لبواً ولعباً وما يجعل المسلم قويا إن ابتعد عن حياة الخلعة والفجور، وإن يالف سبائك الزاغة والاستقامة فإن الرجل الخرب الدامة أو السائط المروءة لا قوة له ولو ليس جلود السباع، ومشى في ركب الملوك. وقد نصح الله قوم هود فارشدهم إلى أسباب القوة الصحيحة، وكانوا عصابة جبارين، فقال: «يا قوم استغفروا ربكم لم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدررا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين».

وأراد رسول الله أن يزين الطاعات للناس، وأن يفرهم بآدابها، وأن يشرح لهم عقيدة الإنسان عندما يفعل الخير ويرأفهم الشيطان ويسمو إلى الملأ الأعلى فحُرب لهم هذا المثل في سياق حديث له، قال: «ما خلق الله الأرض جعلت تמיד وتنفقا فارسها بالجبيل فاستقرت. فتعجب الملائكة من شدة الجبال فقالت: يا ربنا لم تخلق خلقا أشد من الجبال؟ قال: نعم الله، قالوا: فهل خلقت خلقا أشد من الحديد؟ قال: نعم، النار، قالوا: فهل خلقت خلقا أشد من النار؟ قال: نعم، الماء قالوا: فهل خلقت خلقا أشد من الماء؟ قال: نعم، الريح، قالوا: فهل خلقت خلقا أشد من الريح؟ قال: نعم، أين آدم إذا تصدق صدقة يمينه فأخفاها عن شماله» إن الإنسان، هذا الكائن العجيب، يجتبر سيدا لعناصر الكون كلها، يوازن أفعاءا وأفاسها فيرحه ويربو عليه، يوم يكون شخصا فاضلا ولكنه يلغى في الأرض والنساء اذا انحدن عن الفضائل، والمثل الذي ذكره الحديث ليس إلا إبرازاً لقيمة الرجل المحسن وتصويرا لرسوخه وسموه عندما يسبق في ميدان الخير، ومن عناصر القوة أن يكون المسلم صريحا، يواجه الناس بطلب مفتوح ومبادئ معروفة، لا يصانع على حساب الحق بما يغض من كرامته وكرامة انصاره، بل يجعل قوته من قوة العقيدة التي يملكها ويعيش لها، ولا يحدد من هذه الصراحة ابدأ في تقرير حقيقة ما حدث أن كشفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات ابنه إبراهيم، فقال الناس: سكوت الشمس لوت إبراهيم!! فقام رسول الله يخطب الناس، فقال: «إن الشمس والقمر لا يخسفان لوت أحد ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله تعالٰى يرّيهما عياده، فإذا رأيت ذلك فافزعوا إلى الصلوة»، ذلك أن الشخص الذي يحيا في الحقائق لا يتاجر بالأياميل، فهو غني عنها، وصراحته دليل على ثروة عريضة من الشرف. تغني صاحبها عن الدجل والاستغلال، وتقيم سيرته على ركات ثلاثة من الفضيلة والكمال، وقاعدة الأمر بالعرفو والتقي عن المنكر تنطبق من هذا السمو النفسي، لأنها تعتمد على تصفية بما فرط نهمي ابتغاء محوه لتلتبث مكانه الصواب والخير.

والذي نريد توكيده هنا أن المسلم يجب



- **التعاسة النفسية والهوان الاجتماعي قد يجعلان الإنسان كثير التشاؤم قليل الإنتاج.. وواجبنا بذل كل جهد للتخلص من قيودهما**
- **المسلم يجب أن ينكر بقوة عيوب المجتمع دون تهيب لكبير أو استحياء من قريب ولا تأخذه في الله لومة لائم**

أن يكون نقادة للعيوب الفاشية، جريئاً في الحملة عليها، لا يتهيب كبيراً ولا يستحي من قريب، ولا تأخذه في الله لومة لائم، وقد كره الإسلام أن يضعف الرجل أمام العصاة من الكبراء، وأن يناديهم بالفاظ التكريم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا قال رجل للمنافق: يا سيد فقد أغضب ربه»؛ ويرجعه الذر والهياء يوم يكون شخصاً ساقطاً. وإنها لجريرة مضاعفة أن يتهلك امرؤ الحرمان المصونة، ثم يستمع إلى من يبلونه لا إلى من يحقرونه، «ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء» وتحرير الإسلام للعبية فيه محافظة على

أن تفضح ملته، وإن نشهر بين الناس به، وإن كان العيب الذي وجدناه جراً مستهتر أو معصية مجاهر، فهذا الذي يجب أن يقابل بكلمة الحق. تطرح أذنيه دون ميلاد، ولكي ما تكون هذه الكلمة خالصة ينبغي أن يتبعد عن مشاعر الشفقة وحب الأذى، وأن تقتزن بالرغبة المجردة في تغيير الفيج، وإصلاح الفرد والجماعة. وليس من هذا البينة أن تذكر العاصي بشر عند أعدائه لتقترب من قلوبهم، أو لتطعم من موائدهم، أو لتقتاضم بالبراءة من الخصال التي ذممتها فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أكل برجل مسلم أفله الله يُعلمه مثلها من جهنم، ومن كسى ثوبا من لا جهد له».

والإسلام يكره أولئك الذين يعيشون في الدنيا انشباب، تغلب عليهم طياغع الزلفى والتهافت على خيرات الآخرين، ويحبون أن يكونوا في هذه الحياة كاللعالب التي تفتات من فضلات الأسود.

إن المسلم اكبر من أن يربط كيانه بغيره على هذا النحو الوضع، بل يجب أن ينأى عن مواطن الهون، وأن يضرب في فجاج الأرض يبتغي العزة والكرامة. وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب الجنة وخلائهم، وأصحاب النار وخلائهم، فقد فضائل القوة والكرامة والفيل في الأولين وقرن رائثل الهوان والاختلاس والعجز والتلاعب بالآخرين قال: «..أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موقف ورجل رجم رفيق الظل لكل ذي فربي ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال، وأهل النار: الخائن الذي لا يخفي له طمع وإن دق إلا خائنه، ورجل لا يصيح ولا يسيى إلا وهو يخادعك عن افك ومالك، وذكر البخل والكذب، والشنطير الفحاش، وإن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد».. على أن هناك امرا لا تعرض للمسلم فينوء بها، وربما يهون في نفسه ما دامت مصاحبة له: قالتعاسة النفسية والهوان الاجتماعي له يضغطان على الإنسان ضغطا يُعقد، ويجعله سبي التفكير، كثير التشاؤم، قليل الإنتاج، وواجب المسلم أن يبدل كل جهد للتخلص من هذه القيود الكئيبة، والخروج من مازلقها القابضة، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعذ بربه من هذه المصائب الهدامة «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك: من الجن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وفقر الرجال»، والصبر والرجاء، هما عدة اليوم والغف، ويتحمل المرء في ظلمها المصائب الفاجرة فلا بدل، بل بكل محصنا من نواحيه كلها، غالبا على الأحداث والفن لأنه مؤمن والمؤمن لا يضرع إلا إلى الله..»

الوفود والمفاوضات التي لُحيت للتفاوض مع النبي (صلى الله عليه وسلم) تبين مدى الفشل الذي أصاب زعماء فريش في عدم حصولهم على التنازل الذي عن الإسلام، الأمر الذي جعلها تنجا إلى طلب الحصول على شيء من التنازل، وبلاخط أن التنازل الذي طلبوه في المرة الأولى، أكبر مما طلبوه في المرة الثانية، وهذا يدل على تدرجهم في التنازل من الأكبر إلى الأصغر، عليهم المرة الأولى غير الذين تفاوضوا معه في المرة الثانية، ما خلا الوليد بن المغيرة وذلك حتى لا تكرر الوجوه، وفي ذات الوقت تنوع الكفادات، والعقول للمفاوضة، فربما أثر ذلك في تفرغم بعض الشيء، وفي هذا درس للدعاة الي يوم القيامة، بأنه لا تنازل عن الإسلام ولو كان هذا التنازل شيئا يسيرا، فلايلازم دعوة ربانية ولا مجال فيها للمساومة إطلاقا، مهما كانت الأسباب والدوافع، والمبررات «وعلى الدعاة اليوم الحذر من مثل هذه العروض، والأغراء المادية، التي قد لا تعرض بطريق مباشر، فقد تأخذ شكلا غير مباشر، في شكل وثائقف عليها، أو علود عمل مجزية، أو صفقات تجارية مربحة، وهذا ما تخطط له المؤسسات العالمية للشيوعة لتصرف الدعاة عن دعوتهم وبخاصة القياديين منهم، وهناك تعاون تام في تبادل المعلومات بين هذه المؤسسات التي تعمل من مواقع متعددة لتتدير العالم الإسلامي»، ولقد جاء في التقرير الذي قدمه ريتشارد ب. ميشيل أحد كبار العاملين في مجال الشرق الأوسط، لرصد الصحوة الإسلامية، وتقديم النصيح بكيفية ضريها، جاء في هذا التقرير: وضع تصور لخطلة جديدة يمكن من خلالها تصفية الحركات الاسلامية، فكان من بين فقرات هذا التقرير فقرة خاصة بالغراء قيادات الدعوة، فاقترح لتحقيق ذلك الإغراء ما يلي:

أ – تعيين من يمكن اغراؤهم بالوظائف العليا، حيث يتم شغلهم بالمشروعات الاسلامية فارغة المضمون، وغيرها من الأعمال التي تستنفذ جهودهم، وذلك مع الإغراء عليهم ماديا ومعنيا، وتقديم تسهيلات كبيرة لذويهم، وبذلك يتم استهلاكهم محليًا، وفصلهم عن قواعدهم الجماهيرية.

ب – العمل على جذب ذوي الميول التجارية والاقتصادية، إلى المساهمة في المشروعات ذات الأهداف المشيوحة، التي تقام في المنطقة العربية لصالح اعدائها.

ج – العمل على إيجاد فرص عمل، وعقود مجزية في البلاد العربية الغنية، الأمر الذي يؤدي الي يعدمهم عن النشاط الاسلامي.

فالتدبير في النقاط الثلاث السابقة، بلاخط أنها الإجراءات مادية غير مباشرة، وبلتفردة فاحصه للعالم الإسلامي اليوم، نلاحظ أن هذه النقاط تنفذ بكل هدوء، فقد انشغلت المناصب العليا ببعض الدعاة، واستقطكت بعض الدول العربية الغنية جمًا غفيرا من الدعاة، واليهت التجارة بعضهم.

النبي أعلن لقادة الشرك أنه لا تنازل ولو كان يسيرا عن مبادئ الدعوة

التفاوض والإغراء أثبتا فشلهما في الحرب على الإسلام

أسلوب المجادلة ومحاولة التعجيز

كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أقام الحج والبرامين والأدلة على صحة دعوته، وكان صلى الله عليه وسلم ينفق أختيار الأوقات، وإنهاض الفرس والمناسبات، ويقوى على الرد على الشبهات مهما كان نوعها، وقد استخدم في مجادلته مع الكفار أساليب كثيرة، استنطها من كتاب الله تعالى في إقامة الحجة العقلية، واستخدام الأقيسة المنطقية، واستحضار التفكير والتأمل، ومن الأساليب التي استخدمها صلى الله عليه وسلم مع كفار مكة:

1 – أسلوب المقارنة

وتلك يعرض أمرين: أحدهما هو الخير المطلوب الترغيب فيه، والآخر هو الشر المطلوب الترغيب منه، وذلك باستشارة العقل، للتفكر في كلا الأمرين، وعاقبتهما الوصول –بعد المقارنة– إلى تفضيل الخير وأشاعه:

قال تعالى: «وَمَن كَانَ مِنَّا فَاجِحِينَادُ وَيُجَعَلَنَّ لَهُ يَوْمًا يَشْهِي بِهِ فِي النَّاسِ كُفْرُ مِثْلِهِ فِي الْغُلَامَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [الأنعام: 122].

قال ابن كثير في تفسيره: «هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ممثا أي: في الضلالة هالكا حائرا، فأحياه الله، أي: أحيا قلبه بالإيمان وهده له ووفقه لاتباع رسله».

2 – أسلوب التقرير

وهو أسلوب يؤول بالمرد بعد المحاكمة العقلية، إلى الإقترار بالمطوب، الذي هو مضمون الدعوة، قال تعالى: «أَمْ خُلِقُوا مِن غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خُلِقُوا مِن آتَرِضٍ لَّا يَوقُونَ أَمَ عِنْدَهُمْ خَزَائِفٌ رَّيَكُ أَمْ هُمُ الْمُسْتَظَرُّونَ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلَنَأَمُرَّ سُمُطَهُم بِسُلْطَانٍ مُّثْنٍ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَيْكُمُ الْبَنُونَ أَمْ نَسْأَلُهُنَّ أَجْرًا فَهَمَّ بِنَ مَّعْرُومٍ مُّقْتُولُونَ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ أَمْ يُرِيدُونَ كُنْهَ الْغُيُوبِ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ أَمْ لَهُمْ الْفُتْرَةُ فَاِنَّهُ لَا يَفْقَهُ سَوِىَ الْحَقِيقَةِ الَّتِي يَقُولُهَا كَسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَخَابٌ مَّرْكُومٌ فَنُزِّلُهُمْ بِحُلٍّ قُلُوبًا لَّيُؤْمِنَ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ» [الطور: 35–45].

قال ابن كثير في تفسيره: «هذا المقام في اثبات الربوبية وتوحيد الألوهية، فقال تعالى «أَمْ خُلِقُوا مِن غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ» أي أوجدوا من غير موجد؟ أم هم أوجدوا أنفسهم؟ أي لا هذا ولا هذا، بل الله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئا مذكورا».

وهذه الآية في غاية القوة من حيث الحجة العقلية، لأن «وجودهم هكذا من غير شيء أمر يكره منطق الفطرة ابتداء، ولا يحتاج إلى جدال كثير أو قليل، أما أن يكونوا الخالقين لأنفسهم فامر لم يذعوه، ولا يدعيه مخلوق، وإذا كان هذان الفرضان لا يقومان بحكم منطق الفطرة، فإنه لا يبقى سوى الحقيقة التي يقولها القرآن، وهي أنهم من خلق الله جميعا من خلق الله الواحد الذي لا يشاركه أحد» والتعبير بالفطرة مضمون الأمر المقرر بمداة في العقل.